جامعة محمد لمين دباغين سطيف2

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم علوم الإعلام والاتصال

المستوى: الثانية ماستر تخصص ' الاتصال الجماهيري والوسائط الجديدة '

مقياس: إثنوغرافيا الجمهور والمستخدمين

محتوى المادة:

1/ مدخل عام إلى الدراسات الأنثروبولوجيا والإثنوغرافية

–الانثروبولوجيا

–الإثنولوجيا

–الإثنوغرافيا

–الاثنو–ميتودولوجية

2/ التوجه الإثنوغرافي في الدراسات الإعلامية

– استخدام المنهج الإثنوغرافي لدى دافيد مورلي

–تطو المقترب الإثنوغرافي في دراسات الاتصال

–المقترب الإثنوغرافي ومستخدمي الوسائط الجديدة

–ملاءمة الدراسات الإثنوغرافية لأبحاث الجمهور والمستخدمين

3/ طرق وأدوات البحث الإثنوغرافي

–الملاحظة بالمشاركة

–الطريقة المورفولوجية والكارتوغرافية

–الطريقة التصويرية"الفوتوغرافية"

–الطريقة الفنوغرافية

–الطريقة الفيلولوجية

–الطريقة السوسيولوجية

–الوثيقة الاثنوغرافية

5/ إثنوغرافية جمهور التلفزيون

6/ إثنوغرافية جمهور الانترنت

7/ إثنوغرافية جمهور المستخدمين

المحور الأول : مدخل عام للدراسات الاثربولوجية و الانثوغرافية

المحاضرة الأولى : الأنثروبولوجيا

يتحقق فهم الإنسان في ضوء العلوم الإنسانية، لا سيما علم الأنثروبولوجيا الذي يختص بتحقيق هذا الفهم من خلال البحث في كل ما يتعلق بالإنسان: كيف يتحرك، يفكر، يتصرف، يعيش، ينمو، يموت، وكيف ...؟ وكل ما يتعلق بكشف القوانين التي تتحكم في الظواهر البشرية بخصائصها الموضوعية، المعرفية والثقافية.

أولا: تعريف الأنثروبولوجيا: أكدت العديد من المصادر إلى أن الأنثروبولوجيا مشتقة من كلمتين يونانيتين هما أنتروبوس Anthropos بمعنى" الإنسان "ولوجوس Logosبمعنى " العلم " ومن تم فالترجمة الحرفية لكلمة أنثروبولوجيا هي" علم الإنسان"، ومن خلال ذلك تعرف الأنثروبولوجيا بأنها دراسة الإنسان وإنجازاته.

كما تعرف الأنثروبولوجيا بأنها علم الأناسة الذي يدرس الإنسان كمخلوق ينتمي إلى العالم الحيواني من جهة، ومن جهة أخرى أنه الوحيد من الأنواع الحيوانية كلها من يصنع الثقافة ويبدعها. وتعرف بأنها: العلم الذي يدرس الحياة البدائية والحياة الحديثة المعاصرة، ويحاول التنبؤ بمستقبل حياة الإنسان معتمدا على تطويره عبر التاريخ الإنساني، ولذا يعتبر علم دراسة الإنسان الانثربولوجيا علما متطورا يدرس الإنسان وسلوكه وأعماله.

وكتبت الباحثة الأنثروبولوجية الأمريكية الشهيرة مارجريت ميد M.Mead 1901 - 1979 حيث تقول : نحن نصف الخصائص الإنسانية، البيولوجية والثقافية للنوع البشري عبر الأزمان وفي سائر الأماكن، ونحلل الصفات البيولوجية والثقافية المحلية كأنساق مترابطة ومتغيرة.

فعلم الإنسان –أنثروبولوجيا–هو دراسة الإنسان ككائن بيولوجي يختص بالمظاهر الجسمية للإنسان المتعلقة بتطوره ما قبل التاريخ، لذلك أفرز هذا البحث التطوري للإنسان عدة فروع أكاديمية للأنثروبولوجيا، مثل الأنثروبولوجيا الطبيعية، الاجتماعية، الثقافية، التربوية...إلخ. وبالرجوع إلى مفهوم الأناسة، فقد تطور هذا المدلول ذو الاستعمال الفرنسي إلى مفهوم واسع يشمل دراسة كل ما له عالقة بالتنوع المعاصر في الثقافات الإنسانية.

ثانيا : ظهور الأنثروبولوجيا :

يصف مؤرخو العلوم « الأنثروبولوجية » بأنها أحدث العلوم الاجتماعية على الإطلاق وأنها لا تزال تتطور وتتقدم لتأخذ مكانتها المستقلة والفريدة بين العلوم الأخرى التي تشاركها دراسة الإنسان وطبيعة الحياة البشرية ومراحل تطورها، ورغم حداثة الأنثروبولوجيا التي لم تتبلور كدراسة متخصصة وعلم مستقل عن الفلسفة الاجتماعية إلا في

أواخر القرن التاسع عشر فان وصف ثقافات الشعوب والحضارات الإنسانية وعقد المقارنات بينها قد جذبا بانتباه كثيرا من المفكرين والكتاب منذ قديم الزمان.

1-الانثروبولوجيا عند اليونان: يعتبر الباحث الإغريقي اليوناني هيرودوتس المحب للسفر أول من كتبَ عن أحلام الشعوب وعاداتهم وتقاليدهم، وعرض فكرة وجود اختلاف وتنوع فيما بينهم، من حيث الاتجاهات الثقافية واللغوية والسلالية والدينية

وقد جاء في أحد الأوصاف التي قدمها هيرودوتس التالي: لهم عادة واحدة يختلفون فيها عن جميع أمم العالم الأخرى فإنهم يتخذون اسم الأم وليس الأب، فإذا سألت أحد اللايسيين من هو؟ أجابك بإعطاء اسمه الخاص ثم اسم أمه وهكذا على خط النسب الأنثوي، وفضلا عن ذلك إذا تزوجت امرأة حرة رجلا عبدا فإن أطفالهم يكونون مواطنين كاميلين ولكن إذا تزوج رجل حر امرأة أجنبية حتى ولو كان الرجل الأول في الدولة فإن الأطفال يفقدون جميع حقوق المواطنة

لقد أكد هذا الوصف الأنثروبولوجي للمؤرخ هيرودوتس على أن منهاجه في شرح ثقافة الشعوب وأنظمتهم الاجتماعية، يتوافق بشكل كبير مع أسس المنهج الإثنوغرافي، خاصة أنه أجرى أيضا العديد من المقابلات وسجل الأقوال مثلما يفعل الأنثروبولوجيون اليوم.

2-الأنثروبولوجيا في العصور الوسطى:

يذكر المؤرّخون أنّه في هذه العصور الوسطى (المظلمة)تدهور التفكير العقلاني، وأدينت أيّة أفكار تخالف التعاليم المسيحيّة، أو ما تقدّمه الكنيسة من تفسيرات للكون والحياة الإنسانية،

قد ظهرت في هذه المرحلة محاولات عدّة للكتابة عن بعض الشعوب، إلاّ أنّها اتّسمت غالباً بالوصف التخيّلي، بعيدة عن المشاهدة المباشرة على أرض الواقع، مثال ذلك ما قام به الأسقف / إسيدور / Isidore الذي عاش ما بين) 636 - 560 (حيث أعدّ في القرن السابع الميلادي موسوعة عن المعرفة، وأشار فيها إلى بعض تقاليد الشعوب المجاورة وعاداتهم، ولكن بطريقة وصفية عفوية، تتّسم بالسطحية والتحيّز، وممّا ذكره، أنّ قرب الشعوب من أوربا أو بعدها عنها، يحدّد درجة تقدّمها، فكلّما كانت المسافة بعيدة، كان الانحطاط والتهور الحضاري مؤكّدا لتلك الشعوب، ووصف الناس الذين يعيشون في أماكن نائية بأنّهم من سلالات غريبة الخَلق، حيث تبدو وجوههم بلا أنوف، وقد ظلّت تلك المعلومات سائدة وشائعة حتى القرن الثالث عشر، حيث ظهرت موسوعة أخرى أعدّها الفرنسي باتولو ماكوس Batholo Macus والتي حظيت بشعبية كبيرة، على الرغم من أنّها لم تختلف كثيراً عن سابقتها في الاعتماد على الخيال.

3-الأنثروبولوجيا في عصر النهضة:

يتفق المؤرّخون على أن عصر النهضة في أوربا، بدأ في نهاية القرن الرابع عشر الميلادي، حيث شرع الأوروبيون بعملية دراسة انتقائية للعلوم والمعارف الإغريقية والعربية مترافقة بحركة ريادية نشطة للاستكشافات الجغرافية، وتبع ذلك الانتقال من المنهج الفلسفي إلى المنهج العلمي التجريبي، في دراسة الظواهر الطبيعية والاجتماعية، والذي

تبلور وتكامل في القرن السابع عشر، إن هذه التغيرات مجتمعة أدت إلى ترسيخ عصر النهضة أو ما سمي) عصر التنوير) وأسهمت بالتالي في بلورة الانثربولوجيا في نهاية القرن التاسع عشر،

بالعودة إلى الأنشطة الاستكشافات الجغرافية لابد من التطرق إلى رحالات كريستوف كولومبوس - 1451)) 1506، الذي يرى البعض أنه من الناحية الأنثروبولوجية تعتبر مذكراته المتضمنة رحلاته ومشاهداته واتصالاته مع "أهالي "العالم الجديد قد زخرت بالمعرفة والبيانات والتفصيلات الإثنوغرافية، وفي الحقيقية أن هذا الأمر لم يقف عن هذا الحد بل اتصفت كتاباته أيضا بالميل نحو الموضوعية ومحاولة تقصي الأسباب وراء ما وتظهر موضوعية كريستوف كلومبوس في وصفه للسكان الأصليين في جزر الكاريبيان في المحيط الأطلسي على النحو التالي " : إنّ أهل تلك الجزر كلّهم عراة تماماً، الرجال منهم والنساء، كما ولدتهم أمَّهاتهم، ومع ذلك فثمّة بعض النساء اللواتي يغطين عورتهنّ بورق الشجر، أو قطعة من نسيج الألياف تصنع لهذا الغرض، ليست لديهم أسلحة ومواد من الحديد أو الصلب وهم لا يصلحون لاستخدامها على أيّة حال، ولا يرجع السبب في ذلك إلى ضعف أجسادهم، وإنّما إلى كونهم خجلون ومسالمون بشكل يثير الإعجاب، وكتب في وصفه لسكان أمريكا الأصليين " : إنّهم يتمتّعون بحسن الخَلق والخُلُق، وقوّة البنية الجسدية، كما أنّهم يشعرون بحرية التصرّف فيما يمتلكون، إلى حدّ أنّهم لا يتردّدون في إعطاء من يقصدهم أيّاً من ممتلكاتهم، علاوة على أنّهم يتقاسمون ما عندهم برضى وسرور .لم تثمر رحالات كرستوف كلومبوس وكشفه للعالم عن مادة إثنوغرافية قديمة فحسب وإنما كانت لها أهمية تاريخية كبرى في مجالي الفكر والسياسة، الأمر الذي جعل بعض المؤرخين الأوروبيين المهتمين بالتقسيم الزمني للتاريخ يتفقون' أن اكتشاف أمريكا في 1492 قد أدخل أوروبا في حقبة جديدة.

لم يعد وصف الرحالة كافيا بل بدأ المفكرون والباحثون في استخلاص أفكار نظرية من تلك المادة الإتنوغرافية التي يوفرها المستكشف أو الرحالة مثلا، ولم تعد الكتابات تستمد مصداقيتها من الخيال بل أصبحت تتجه نحو البحث الميداني وكانت أهم الخطوات في مجال البحث الميداني ضمن حقل الأنثروبولوجيا تلك التي قام بها الفرنسي ميشيل دي مونتاني (1532-1892) M.De Montaigneالذي أجرى مقابلات مع مجموعة من السكان الأصليين الذين كان بعض المكتشفين قد أحضروهم إلى أوربا، واستخدم مونتاني هؤلاء الأسرى كإخباريين أي أنه جمع منهم معلومات عن العادات والتقاليد السائدة في موطنهم الأصلي وخرج من ذلك بمقولة أنه لفهم العالم لابد من دراسة التنوع الحضاري للبشر واستقصاء أسبابه، لذلك يتسنى لأوروبا أن تفهم ثقافات الشعوب الأخرى باعتبار أن لها منطلقاتها و أخلاقياتها الخاصة بها وبالتالي نجد هذا الفيلسوف الفرنسي قد طرح مقدما فكرة "النسبية الأخلاقية " Moral Relativityعلى حد تعبير ايدموند ليتش وإلى جانب مونتاني هناك عالمين فرنسيين آخرين من مفكري القرن الثامن عشر واللذان يرى الأنثروبولوجيون في أعمالهما جذورا للفكر الأنثروبولوجي النظري وهما مونتسكيو B (1689-1758) De Montesquieu.وجان جاك روسو(1711-1778) J.Rousseau ولعل من الأشياء الهامة في كتابات روسو من وجهة نظر الأنثروبولوجيا أنه استطاع أن يخلص نفسه من التحيز الثقافي لمجتمعه، و أن ينقد قيمه بينما يشيد ويستحسن طرق حياة الشعوب بالمجتمعات الأخرى.

4–مرحلة النشأة الأكاديمية:

منذ القرن التاسع عشر، أصبحت تأخذ الدراسات الأنثروبولوجيا طابعا أكاديميا يسير نحو ظهورها كعلم مستقل عن التراث الاجتماعي كما طرحه الرواد الأوائل، وذلك من خلال القيام بالعديد من الدراسات حول بقايا الحياة الإنسانية المكتشفة في الحفريات التي أجريت في مناطق مختلفة من العالم، وكذلك بسبب تقدم دراسات علوم الآثار، والتقدم الحاصل في فهم الحضارات القديمة .بالإضافة إلى تقدم الأبحاث في العلوم الجيولوجية والباليونتولوجية والتي كشفت عن عمر الأرض التقريبي، ويرى الأستاذ حسين عبد الحميد أحمد رشوان أن الفترة الممتدة ما بين عامي 1871 – 1861هي فترة تبلور الأنثروبولجيا كعلم مستقل وذلك بسبب العديد من الدراسات التي ظهرت في هذه الفترة سواء في بريطانيا أو فرنسا أو في الولايات أما في القرن العشرين وفي الفترة الممتدة ما بين عامي 1900 إلى عام 1924 فإن علم الأنثروبولوجيا وصل مرحلة التبلور والصياغة لوحدات التحليل والتفكير الخاصة به، وتميزت هذه الفترة بكثرة الأبحاث الميدانية حول المجتمعات البدائية وبقايا آثار الإنسان القديم أو ما يسمى بالدراسات ما قبل التاريخ (الأركيولوجي) وانتشار تدريس الأنثروبولوجيا في الجامعات العالمية، وأصبح هناك تمييزا بين الأنثروبولوجيا من ناحية والإثنولوجيا من ناحية أخرى، ولو أنهما يشتركان في نفس موضوع البحث، ويرجع الفضل الكبير فيتطبيق الدراسات الميدانية بطريقة منهجية لعالم الأنثروبولجيا الإنجليزي هادون، عندما كان على أس بعثة علمية من جامعة كامبردج لدراسة منطقة توريس في المحيط الهادي، واستغرقت تلك الدراسة عامين(1898 – 1900)، كذلك برز عالم الإجتماع والأنثروبولوجيا مالينوفسكي وراد كليف براون وآخرون.